# المبحث الثالث

# تهذيب الدافع الجنسى للطفل

## تهذيب الدافع الجنسى للطفل [1]

### تمهيد :

حرص الإسلام على تنشئة الإنسان تنشئة متوازنة، بحيث يتكون تكوينا منسجما مع طبيعته التى خلقها الله، ومع فطرته التى فطره عليها، وهكذا كانت إحدى خصائصه المميزة التوازن فى الأمور كلها بلا إفراط ولا تفريط .

والدافع الجنسى خلقه الله تعالى فى النفس البشرية ليكون سببا فى استمرار الكائنات الحية جميعها، ومن بينها الإنسان، وقد خص الله تعالى زمنا معينا لتفجير هذه الطاقة فى الإنسان؛ ليصبح قادرًا على الإنجاب... وسمى الشرع الحنيف هذا السن بسن التكليف، أى : بدخول الطفل هذا السن يصبح مسؤولا عن تصرفاته، محاسبا على أعماله .

ولكى يسير الدافع الجنسى فى نفس الطفل بشكل هادئ بلا تهيجات خارجية تغذيه نحو الانحراف عن السلوك القويم، رعى الإسلام هذا الطفل، وطالبه بأوامر ونواه؛ وذلك لكى يتهذب الدافع الجنسى، ويبقى متوازنا طاهرا بلا انحراف، نقيا بلا تلوث .

فما هى الأسس والقواعد الضابطة التى خصها رسول الله ﷺ فى تهذيب الطفل جنسيا؛ وذلك ليقوم الوالدان باتباعها، فيحفظوا بها طفلهم من الانحراف الجنسى، وتبقى فطرته نظيفة طاهرة عفيفة، لم تخدشها الجاهلية بمستنقعها الآسن؟

---

(١) أمور الجنس بحاجة لتهذيب وليس إلى بناء، لأنها موجودة فى النفس بشكل قوي، فالحاجة إلى تهذيبها هو العملية التربوية، بخلاف غير المسلمين الذين يبيحون الجنس فى كل مراحل العمر بالاتصال المحرم .

**الأساس التهذيبى الأول : استئذان الطفل فى الدخول :**

الطفل يعيش فى منزله كثيرا، ويتنقل سريعا فى أرجاء البيت، والاستئذان بالنسبة له أمر صعب وشاق فى كل لحظة، وفى كل آن، لذلك وجدنا القرآن الكريم يحدد للطفل الصغير طريقة الاستئذان، فيتناولها بالرعاية، والتوجيه، وذلك بأسلوب تدريجى رائع، فحددها له أولا، وهو طفل صغير أن يستأذن فى ثلاثة أوقات حساسة : من قبل صلاة الفجر... ووقت الظهيرة عند القيلولة .. وبعد صلاة العشاء .

ونلاحظ أن هذه الأوقات هى أوقات نوم الوالدين، وقد دخلا فى غرفة النوم، حتى إذا قرب من سن الاحتلام وجب عليه الاستئذان فى البيت فى الدخول على والديه فى كل آن، وكلما وجد أمامه الباب مغلقا فى وجهه ، ووالداه فى الغرفة .

فلنعش لحظات مع التوجيه القرآنى الذى يخص هذا الأمر بالتفصيل، والبيان دون غيره، لما له من أهمية كبيرة فى ميزان الشرع :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ۝٥٨ وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ۝٥٩ ﴾ [النور] .

«ففى هذه الأوقات الثلاثة لا بد أن يستأذن الخدم وأن يستأذن الصغار المميزون، الذين لم يبلغوا الحلم، كيلا تقع أنظارهم على عورات أهليهم .

وهو أدب يغفله الكثيرون فى حياتهم المنزلية، مستهينين بآثاره النفسية،

والعصبية، والخلقية، ظانين أن الخدم لا تمتد أعينهم إلى عورات السادة !

وأن الصغار قبل البلوغ لا ينتبهون لهذه المناظر، بينما يقرر النفسيون اليوم ـ بعد تقدم العلوم النفسية ـ أن بعض المشاهد التى تقع عليها أنظار الأطفال فى صغرهم هى التى تؤثر فى حياتهم كلها، وقد تصيبهم بأمراض نفسية، وعصبية، يصعب شفاؤهم منها»[1] .

فهل تريدان أيها الوالدان أن يمرض طفلكما ؟ وبأى مرض؟ إنه بالأمراض النفسية، والعصبية، التى يصعب شفاء الطفل منها .

وما هو السبب يا ترى؟ إنه تهاون الوالدين فى تعويد طفلهما الاستئذان للدخول فى الأوقات الثلاثة، التى تكون فيها عورات الوالدين منكشفة، لهذا نجد النبى ﷺ يعلم أنسًا الاستئذان كما روى البخارى فى الأدب المفرد[2] .

عن أنس قال : كنت خادمًا للنبى ﷺ، فكنت أدخل بغير استئذان، فجئت يوما فقال : كما أنت يا بنى، فإنه قد حدث بعدك أمر: «لا تدخلن إلا بإذن» .

ومن هنا وجب أيضا على الوالدين أن يسترا عوراتهما فى كل آن أمام طفلهما، لكى يساعداه على سير غريزته الجنسية بشكل طبيعى، دون تسرع بالمهيجات، فلنتجنب .. ولننتبه .. ولنستجب لنداء الله تعالى ورسوله لما يحيينا .

## حكم الطفل غير المميز :

إن الطفل الصغير الذى لا يميز محاسن وقبح النساء، وكذلك البنت التى لم تبدأ معالم البلوغ عندها، لهما حكم خاص بهما نصت الآية عليه :

﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا

(١) فى ظلال القرآن (١٨/ ١٢٣) .
(٢) من الحديث (٨٠٧) .

ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ [النور].

«هذه عائشة ـ رضى الله عنها ـ يأتيها الصبيان والصغار، ويرون لباسها، قال عطاء: كنت آتى عائشة أنا وعبيد بن عمير، وهى مجاورة فى جوف ثبير، قلت: فما حجابها حينئذ؟ قال: فى قبة لها تركية، عليها غشاء لها، بيننا وبينها، قال: ولكن قد رأيت عليها درعا معصفرا، وأنا صبى[1].

## الأساس التهذيبى الثانى: تعويد الطفل غض البصر، وحفظ العورة:

إن البصر هو نافذة الطفل على العالم الخارجى، فما تراه عيناه ينطبع فى ذهنه، ونفسه، وذاكرته بسرعة فائقة ... فإذا تعود غض بصره عن العورات كافة المنزلية والخارجية، مستعينا بمراقبة الله تعالى له، كما فعل الطفل الصالح عبدالله التسترى، الذى كان يردد ورده القلبى قبل أن ينام: «الله شاهدى .. الله ناظرى .. الله معى» فإن ذلك يورث حلاوة الإيمان، التى يجدها الطفل فى نفسه.

وقد يتهاون الطفل أحيانا، وينسى أخرى، ويغلبه هواه فى لحظة ما، فيرسل بصره نحو الفتيات بشهوة وتلذذ، فماذا فعل رسول الله ﷺ فى مثل هذا الموطن؟

أخرج البخارى والترمذى وأبو داود عن عبد الله بن عباس قال:

«كان الفضل بن عباس رديف رسول الله ﷺ فجاءته امرأة من خثعم تستفتيه،

(١) أخرجه عبد الرزاق فى مصنفه (٥/ ٦٧) قال حبيب الرحمن الأعظمى معلقا: وأخرجه البخارى دون قوله: «وأنا صبي» (٣/ ٣١١).

فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه، فجعل رسول الله ﷺ يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر»[1].

وروى أحمد عن الفضل بن عباس قال: كنت رديف رسول الله ﷺ من جمع إلى منى، فبينا هو يسير إذ عرض له أعرابى مردفا ابنة له جميلة، وكان يسايره، قال: فكنت أنظر إليها، فنظر إلى النبى ﷺ فقلب وجهى عن وجهها، ثم أعدت النظر فقلب وجهى عن وجهها حتى فعل ذلك ثلاثا، وأنا لا أنتهى، فلم يزل يلبى حتى رمى جمرة العقبة[2].

وروى زنجويه عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: كان الفضل بن عباس رديف النبى ﷺ يصرف وجهه بيده ويقول: «ابن أخى، إن هذا يوم من غض فيه بصره وحفظ فرجه ولسانه غفر له»[3].

وفى رواية ابن جرير فى «تهذيب الآثار» أن العباس قال للنبى ﷺ:

رأيتك تصرف وجه ابن عمك! فقال رسول الله ﷺ: «رأيت جارية حدثة، وغلاما حدثا، فخشيت أن يدخل بينهما الشيطان».

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: كان الفضل بن عباس رديف رسول الله ﷺ قال: فأتت رسول الله ﷺ امرأة من خثعم تستفتيه، قال: فجعل الفضل ينظر إليها، وتنظر إليه، قال: فجعل يصرف وجه الفضل بيده إلى الشق الآخر، قالت: يا رسول الله، إن فريضة الله فى الحج على عباده أدركت أبى شيخا كبيرا، لا يستطيع أن يثبت على الراحلة، أفأحج عنه؟ قال: «نعم».

رواه ابن خزيمة فى صحيحه (٤/ ٣٤٣) ورواه البخارى ومسلم.

---

(١) الكنز (٥/ ١٨٨ و٢٠٤) ورواه ابن خزيمة فى صحيحه (٤/ ٢٦١).
(٢) المسند (١/ ٢١١).
(٣) ورواه ابن خزيمة فى صحيحه (٤/ ٢٦٠) وأبو يعلى فى مسنده (١/ ٢٦٤).

فإذا لا بد من تعويد الطفل غض البصر عن العورات فى كل مكان، حتى لاتتسرع غريزته الجنسية بالنضوج المبكر، السريع الشاذ، الذى قد يسبب أضرارا، وأخطارا ذاتية، وجسمية، ونفسية، واجتماعية، وخلقية .

وقد ذكر الشيخ عبد الحميد كشك ـ رحمه الله تعالى ـ فى إحدى خطبه قول أحد علماء الألمان حول أهمية غض البصر، وأنه العلاج الوحيد للجنس قوله :

لقد درست علم الجنس، وأدوية الجنس، فلم أجد دواء أنجح، وأنجع من القول فى الكتاب الذى نزل على محمد ﷺ : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [النور] .

أما ستر العورة فإن الطفل يتعودها مع بداية أمره بالصلاة، حيث لا بد أن يكون لباسه ساترا لعورته، وذلك لتكون صلاته صحيحة سليمة من صغره، وبالتالى ينشأ على حب ستر العورة، صبيا كان أم بنتا، فالصبى يلبس ما يستر عورته، والبنت كذلك، وتزيد عليه أن تتعود الحجاب، فتبدأ بحجاب الصلاة، وهكذا ينشأ الطفل مستقيما صالحا مهذبة نفسه، قويمة أخلاقه، قويا فى إيمانه .

**الأساس التهذيبى الثالث : التفريق فى المضاجع بين الأطفال :**

وهو ركن أساسى فى تهذيب الطفل جنسيا، وعدم إثارة غريزته بشكل سيئ، وهذا لا نظير له فى العالم كله من تشريعات ... إنها نظرة النبوة، والدقة النبوية فى تهذيب الطفل، والاهتمام به، فروى أبو داود بسند حسن عن النبى ﷺ :

«مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين، وفرقوا بينهم فى المضاجع» .

وفى رواية الحاكم فى مستدركه (١/ ٢٠١) وقال : صحيح على شرط مسلم وأقره الذهبى: «إذا بلغ أولادكم سبع سنين ففرقوا بين فرشهم، وإذا بلغوا عشر

سنين فاضربوهم على الصلاة» . ورواه الدارقطنى (١/ ٢٣٠) .

إذا هذا التفريق يبدأ فى سن العاشرة، حيث تكون الغريزة فى طريقها للنمو، ولكن كيف يتم التفريق فى المضجع؟ إنه عدم نوم طفلين تحت لحاف واحد، أو ينامان فى سرير واحد، إما على فراش واحد، وبلحافين مختلفين فلا حرج . وكلما ابتعدا عن بعضهما فهو أفضل .

قال العلامة شاه ولى الله الدهلوى :

«وإنما أمر بتفريق المضاجع؛ لأن الأيام أيام مراهقة، فلا يبعد أن تفضى المضاجعة إلى شهوة المجامعة، فلا بد من سد سبيل الفساد قبل وقوعه»[1] .

لذلك فإن النوم فى فراش تحت لحاف واحد، يؤدى بالأطفال أن تنمو فيهم الغريزة الجنسية بسرعة متزايدة، وأن تتأجج فلا تجد طريقا لإنفاذها إلا ببعض مظاهر الانحراف، والشذوذ الجنسى . وكم تحدث شذوذات تحت اللحاف لا يشعر بها الأبوان، فتكون سببا فى دمار هؤلاء الأطفال الأبرياء، الذين تساهل آباؤهم عن أحوالهم، فوضعوهم فى مخالفة أوامر النبى ﷺ !

ورسول الله ﷺ : ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝﴾ [النجم] يقدم لنا أمرا صريحا : «وفرقوا» فالمؤمن يمتثل فيفرق، وأين التفريق؟ إنه «بينهم فى المضاجع» . فأين التربية الغربية والشرقية من التوجيه النبوى الرائع؟!

**الأساس التهذيبى الرابع : نوم الطفل على شقه الأيمن، وابتعاده عن النوم على بطنه :**

اتباع سنة رسول الله ﷺ بالنوم على الشق الأيمن يبعد الطفل عن كثير من المهيجات الجنسية أثناء النوم، وقد وصف ﷺ النوم على الوجه بنومة الشيطان ... فإذا نام الطفل على بطنه، فيؤدى ذلك إلى كثرة حك أعضائه التناسلية التى تثير

(١) حجة الله البالغة (١/ ١٨٦) .

شهوته فى هذه الحالة، فإذا وجد الوالدان الطفل فى هذه الحالة نائما غيرا من حالته، وحببوا إليه النوم على الشق الأيمن، والابتعاد عن النوم على الصدر... فضلا عن أن النوم على الصدر يورث كثيرا من الأمراض الجسمية ... والأطباء جميعا بدون استثناء ينصحون بالابتعاد عن النوم على البطن .

**الأساس التهذيبى الخامس : ابتعاد الطفل عن الاختلاط، والمهيجات الجنسية :**

انطلاقا من القاعدة القائلة : «وبضدها تتميز الأشياء»، سنعرض بين يديك التجربة الأوروبية فى الاختلاط، وما نتج عنه بين الأطفال ذكورا وإناثا، الأمر الذى تشمئز منه النفوس الطاهرة العفيفة، فقد أورد الشيخ وهبى سليمان الغاوجى عن التجربة الغربية، وأننا إذ نقدم هذه التجربة الفاشلة للآباء والمربين؛ لأن النفوس المسلمة الضعيفة تعودت أن تأخذ التجربة الأوروبية محل اعتبار وتقدير، وتتثاقل مسامعها من وعظ الواعظين فى المساجد والخطب، وهم يحذرونهم من وباء الاختلاط، فإليك هذه الطائفة من الحوادث، إن فى ذلك لذكرى لمن ألقى السمع وهو شهيد، فقال :

«حدثنى الأستاذ الكبير أحمد مظهر العظمة أنه حين ذهب منذ سنين فى رحلة علمية إلى بلجيكا، لاحظ مدرسة ابتدائية هناك، وهى تقوم بجولات فى مدارسها، جميع طلابها بنات، فسأل المديرة : لماذا لا تخلطون البنين مع البنات فى هذه المرحلة؟ قالت : قد لمسنا أضرار اختلاط الأطفال حتى فى سن المرحلة الابتدائية» .

وإن لم تصدق هذا الكلام، فإليك الأرقام لتتكلم معك :

«قال القاضى لندسى فى كتابه «تمرد النشء الجديد» : إن الصبية فى أمريكا قد أصبحوا يراهقون قبل الأوان، ومن السن الباكرة جدا يشتد فيهم الشعور الجنسى».

ويحدث هذا القاضى عن أحوال (٣١٢) صبية على سبيل النموذج فيقول :إن

(٢٥٥) صبية منهن كن أدركن البلوغ فيما بين الحادية عشرة والثالثة عشرة من سنى أعمارهن، فيهن من أمارات الشهوة الجنسية، والمطالب الجنسية ما لا يكون عادة إلا فى بنات الثامنة عشرة فما فوقهن سنا .

ويقول الدكتور أديت هوكر فى كتابه «القوانين الجنسية» :

«إنه ليس من الغريب الشاذ، حتى فى الطبقات المثقفة : أن بنات سبع، وثمانى سنين منهن يخادن لذاتهن مع الصبية، وربما تلوثن معهم بالفاحشة .

بنت فى السابعة من عمرها من بيت عريق فى الشرف والمجد، ارتكبت الفحشاء مع أخيها، وعدد من أصدقائه . ونفر آخر من خمسة أولاد يشتمل على صبيتين وثلاثة صبيان متجاورين، متقاربى البيوت، وجدوا متعلقين ببعضهم بالعلاقات الجنسية، وقد حفزوا على ذلك غيرهم من الأولاد أيضا، وكان أكبر أولئك سنا ابن عشر سنين، وبنت أخرى فى التاسعة كانت فى ظاهر الأمر تحت رقابة شديدة، وجدت سعيدة بكونها حبيبة عشاق ذوى عدد!!

«وقد جاء فى تقرير طبيب من مدينة بالتيمور : إنه رفع إلى المحاكم فى تلك المدينة أكثر من ألف مرافعة فى مدة سنة واحدة، كلها فى ارتكاب الفاحشة مع الصبايا دون الثانية عشرة من العمر» .

«يخمن القاضى لندسى الأمريكى أن (٤٥٪) من فتيات المدارس تدنسن قبل خروجهن منها، وترتفع هذه النسبة كثيرا فى مراحل التعليم العالية، فيكتب : أن الطالب فى مدرسة ثانوية تكون عواطفه دون عواطف الطالبة شدة والتهابًا، فالصبية هى التى تتقدم أبدًا، وتأمر، وما يفعل الصبى إلا أن يتبع ويأتمر»[1] .

ومن المؤسف، والمؤلم، والمحزن أن كثيرا من البلدان الإسلامية بدأت تسير على هذا النهج فى اختلاط الصبيان مع البنات ... وهذا تآمر على إفساد المجتمع، وتوهين بنية الأجيال .

(١) المرأة المسلمة (ص ٢٤٣) .

**الأساس التهذيبى السادس : تعليم الطفل المميز فروض الغسل، وسننه :**

حينما يتوقع الأبوان قرب بلوغ الصبى، والبنت على السواء، عند ذلك وجب عليهم تعليم الأطفال فرائض إسقاط الحدث الأكبر ـ الجنابة ـ وسننه، وكذلك يحدثانهم عن أسبابه، وعن طبيعة المادة التى تخرج، ولونها، أى : يقدمان لهم درسا فى فقه الغسل من كتب الفقه، ولأن يحدثهم الآباء حديثا هادئا عن هذه الأمور، خير من أن تمتد أيدى السوء لتتشلهم، ويقدمون لهم السم الزعاف، وعمر بن الخطاب ﷺ يقول : «ينقض عرى الإسلام عروة عروة من نشأ فى الإسلام ولم يعرف الجاهلية» .

فلا بد من أن يقدم الأب لصبيه والأم لبنتها حديثا وأحاديث عن فقه الإسلام فى هذه المادة، التى تخرج من جسم الإنسان، وماذا يفعله الإنسان فى مقابل ذلك، وما يعنى خروج هذه المادة بالنسبة للشرع؟

إنه يعنى دخول سن التكليف فى الحياة ... إنه بدء الفرائض على الإنسان، والنواهى الربانية له ... وبذلك أصبح الإنسان محاسبًا على الصغيرة والكبيرة على أعماله، وأقواله، وأن الملكين رقيبًا وعتيداً، بدأ كل منهما مهمته فى تسجيل الحسنات والسيئات ... إلى غير ذلك من مواعظ هادئة، تنبه الطفل نحو العمل الصالح، وكراهية العمل الطالح .

**الأساس التهذيبى السابع : شرح مقدمة سورة النور، وتحفيظها للطفل المميز :**

بعد بلوغ الطفل سن العاشرة، يفرق فى مضجعه عن إخوته، فهذا يعنى أن بعض الدلالات الجنسية بدأت بالظهور رويدا رويدا .

ففى هذه السن نبدأ بوضع الوقايات النفسية، والمناعات الإيمانية فى نفس الطفل، ليقوى بها على التحكم فى غريزته، وضبط نفسه، والحفاظ عليها من ارتكاب الفاحشة، والعياذ بالله تعالى، فكان السلف ـ رضوان الله عليهم ـ يقدمون

لأطفالهم سورة النور كوقاية لهم مع الشرح والبيان، ويهتمون بتحفيظها فى سن المراهقة قبل البلوغ وخاصة البنات .

روى مجاهد عن النبى ﷺ أنه قال : «علموا رجالكم سورة المائدة، وعلموا نساءكم سورة النور» رواه سعيد بن منصور فى سننه والبيهقى فى شعب الإيمان ورمز السيوطى لضعفه[1] .

وقد أوضح الجاحظ : «بأن المعلمين كانوا يعنون عناية خاصة بتحفيظ الفتيات سورة النور»[2] .

وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ يكتب فى الآفاق :

«لا تدخلن امرأة مسلمة الحمام إلا من سقم، وعلموا نساءكم سورة النور»[3].

**الأساس التهذيبى الثامن : المصارحة الجنسية، والتحذير من الفاحشة :**

قلنا: إن الطفل يعلم، ويحفظ سورة النور، التى تتضمن البناء الخلقى، والتهذيب الجنسى للطفل، وتحذره من الوقوع فى الفاحشة .

وبعد تعلمه فرائض الغسل، وإسقاط الجنابة، يحذر تحذيرا شديدا من الوقوع فى الفاحشة، ويشرح له وذلك حسب البلد الذى يعيش فيه الطفل، هل فى بلد متحلل مثل الغرب وأمريكا؟ أم فى بلد إسلامى محافظ؟ وعلى حسب الأسرة التى بلغ فيها ذلك الطفل، هل هى إسلامية أو إباحية، فحيثما كانت الإباحية فيجب أن يشرح للطفل المسلم البالغ ما هو الزنا، حتى يجتنبه، ويبتعد عنه، وذلك من أجل ألا يقع فى الزنا، ثم يقول : أنا لا أدرى كيف هو؟ وما حكمه؟

---

(١) انظر : الجامع الصغير (٤/ ٣٢٨) .
(٢) البيان والتبين (٢ / ٩٢) .
(٣) رواه عبد الرزاق فى مصنفه (١/ ٢٩٥) .

ويروى له حديث رسول الله ﷺ التالى :

روى أحمد والطبرانى عن أبى أمامة أن فتى من قريش أتى النبى ﷺ فقال :

يا رسول الله، ائذن لى فى الزنا، فأقبل القوم عليه وزجروه، فقالوا : مه .. مه..

فقال : «ادنه»، فدنا منه قريبا، فقال :

«أتحبه لأمك؟» قال : لا، والله يا رسول الله، جعلنى الله فداك، قال : «ولا الناس يحبونه لأمهاتهم» .

قال: «أفتحبه لابنتك؟» قال :لا، والله يا رسول الله، جعلنى الله فداك، قال: «ولا الناس يحبونه لبناتهم» .

قال : «أفتحبه لأختك» قال، لا والله يا رسول الله، جعلنى الله فداك، قال : «ولا الناس يحبونه لأخواتهم» .

قال : «أتحبه لعمتك؟» قال : لا، والله يا رسول الله، جعلنى الله فداك، قال : «ولا الناس يحبونه لعماتهم» .

قال : «أتحبه لخالتك؟» قال : لا، والله يا رسول الله، جعلنى الله فداك، قال : «ولا الناس يحبونه لخالاتهم» .

قال : فوضع يده عليه، وقال : «اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصن فرجه» .

قال : فلم يكن الفتى بعد ذلك يلتفت إلى شىء .

ويعرف كذلك بعقوبة الزنا، وإقامة الحد :

وفى الصحيحين عن أبى هريرة وزيد بن خالد الجهنى أنهما قالا فى الأعرابيين اللذين أتيا رسول الله ﷺ، فقال أحدهما : إن ابنى هذا كان عسيفا ـ يعنى : أجيرا ـ على هذا، فزنى بامرأته، فافتديت ابنى منه بمائة شاة ووليدة، فسألت أهل العلم فأخبرونى أن على ابنى جلد مائة وتغريب عام، وأن على امرأة هذا الرجم، فقال رسول الله ﷺ : «والذى نفسى بيده، لأقضين بينكما بكتاب الله تعالى : الوليدة

والغنم رد عليك، وعلى ابنك مائة جلدة وتغريب عام، واغد يا أنيس ـ لرجل من أسلم ـ إلى امرأة هذا، فإن اعترفت فارجمها» .

## الأساس التهذيبى التاسع : الزواج المبكر :

مهما قيل فى الزواج المبكر من مساوئ فى العصر الحاضر، فإن محاسنه تفوقه، وخاصة إذا صحبه تأمين الحياة المادية، سواء من مساعدة الوالدين، أو من كسب الفتى الناشئ وما أمراض الأمة النفسية والاجتماعية، والحوادث الجنائية إلا نتيجة طبيعية لتأخير الزواج، ولن نناقش هذا الأمر كثيرا، فحسبنا أن نقدم من حياة السلف الصالح هذه النماذج التى قدمها الإمام الراوى عبد الرزاق المتوفى سنة (٢١١هـ) فى مصنفه، باب: نكاح الصغيرين المجلد السادس صفحة(١٦٢) :

١ ـ عن عروة قال : نكح النبى ﷺ عائشة وهى بنت ست، وأهديت إليه وهى بنت تسع، ولُعَبَها معها، ومات عنها وهى بنت ثمانى عشرة[١] .

٢ ـ وعن أبى جعفر قال : خطب عمر إلى على ابنته فقال : إنها صغيرة، فقيل لعمر : إنما يريد بذلك منعها، قال : أبعث بها إليك، فإن رضيت فهى امرأتك، قال : فبعث بها إليه، قال : فذهب عمر، فكشف عن ساقها، فقالت : أرسل، فلولا أنك أمير المؤمنين لصككت عنقك .

وقد علل عمر زواجه من بنت على، وهى صغيرة، بقوله :

عن عكرمة قال : تزوج عمر بن الخطاب أم كلثوم بنت على بن أبى طالب، وهى جارية تلعب مع الجوارى، فجاء إلى أصحابه، فدعوا له بالبركة، فقال : لم أتزوج من نشاط بى، ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببى ونسبى»[٢] فأحببت أن يكون بينى وبين نبى الله ﷺ سبب ونسب .

(١) قال المحقق حبيب الرحمن الأعظمي: وأخرجه مسلم، وفيه: «لعبتها» ورواه أبو داود فى النكاح .
(٢) صحيح، انظر: صحيح الجامع (٤٥٢٧)، وقال : رواه الطبرانى والحاكم والبيهقى عن عمر والطبرانى فى الكبير عن ابن عباس وعن المسور .

٣ ـ وعن الحسن، والزهرى، وقتادة، قالوا : إذا أنكح الصغار آباؤهم جاز نكاحهم. قال عبد الرزاق : وبه نأخذ .

٤ ـ وعن ابن طاوس عن أبيه قال : إذا أنكح الصغيرين أبوهما، فهما بالخيار إذا كبرا .

٥ ـ وعن الزهرى : أن عروة بن الزبير أنكح ابنه صغيرا ابنة لمصعب صغيرة .

٦ ـ وعن هشام بن عروة قال : زوج أبى ابنه صغيرا هذا ابن خمس، وهذا ابن ست، فمات فورثته أربعة آلاف دينار، أو نحو ذلك .

يكفى أن تعلم فتوى قتادة التابعى إذ يقول : كان يقال : إذا بلغ الغلام فلم يزوجه أبوه فأصاب فاحشة أثم الأب . رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب العيال (١/ ٣٣٣) .

وقال ابن عباس ـ رضى الله عنهما : من رزقه الله ولدا فليحسن اسمه وتأديبه، فإذا بلغ فليزوجه .

وقال عبد الله بن أبى حسين المكى : كانوا إذا أدرك لهم ابن عرضوا عليه النكاح، فإن قبله، وإلا أعطوه ما ينكح به، وقالوا : أنت أعلم بأربك . رواهما ابن أبى الدنيا فى كتاب العيال (١/ ٣٣٤ـ ٣٣٥) .

قال الإمام الشيرازى الشافعى فى المهذب :

«ويجوز لولى الصبى أن يزوجه إذا رأى ذلك، لما روى أن عمر ﷺ زوج ابنا له صغيرا، ولأنه يحتاج إليه إذا بلغ فإذا زوجه ألف حفظ الفرج» .

وهل له أن يزوجه بأكثر من امرأة؟ فيه وجهان : أحدهما : لا يجوز، لأن حفظ الفرج يحصل بامرأة، والثانى : يجوز أن يزوجه بأربع، لأنه قد يكون له فيه حفظ .

وقال الشافعى ـ رحمه الله : له أن يزوجه بزوجة واثنتين وثلاث وأربع، كالبالغ[1].

(١) انظر : المهذب، تحقيق د. محمد الزحيلى ٤/ ١٣٤ مع حاشيته، ورجح القول الثانى .

فزواج الصغير والصغيرة سنة السلف الصالح، حتى أفرد له الفقهاء أبحاثا كما وجدت، بل يرون تعدد الزوجات للصغير، وإنها من نفائس الفقه الإسلامى المحافظ على العفة والطهارة والنسب .

إن غير المسلمين يرتكبون الفاحشة صغارا وكبارا، وبنى جلدتنا عندما يسمعون أحكام الشريعة يتذمرون منها، ويرفعون أصواتهم، ولست أدرى ألعفة يدعون؟! أم جهنم ينتظرون؟!

إن الزواج هو الطهارة، وهو الفطرة، وهو المجتمع، وهو الدولة، ومتى انهار سوق الزواج، راج سوق الفاحشة، فانهار الإنسان، وانهار المجتمع، وانهارت الدولة حتى لو كانت تملك السلاح النووى، وأكبر المصانع، لأن الذى يديرهما هو الإنسان، ومتى انهار الإنسان تبعه شتى أنواع الانهيارات الأخرى . وإن الصبية المتوفى عنها زوجها لتجلس فى عدتها، روى البخارى عن الزهرى قال : لا أرى أن تقرب الصبية المتوفى عنها : الطيب؛ لأن عليها العدة .

وإن العالم ـ الآن ـ تقض مضاجعه القنوات الفضائية الفاجرة، وصيحات المخلصين المصلحين لا تجد لها أذنا صاغية، لأن تيار العنف الجنسى جارف للكبار والصغار، فما على المسلمين الغيورين على دينهم ودين أبنائهم سوى التبكير فى الزواج، فلئن صلح الولد فى البيت، فإن خطر الرفقاء السوء فى المدرسة والمجتمع أصبح قريبا جدا، لقرب القنوات الفضائية الفاجرة من أولئك الفسقة الفجرة، لذا فإن عودة المسلمين إلى سنة السلف الصالح فى تبكير سن الزواج لهو الخير والبركة، خير لأن فيه عصمة من انحراف الولد صبيا أو بنتا نحو الرذيلة والخنا، وبركة لأن فيه إنجاب الذرية المسلمة المباركة، وتكثير عدد المسلمين الصالحين .

فإلى الغيورين والمصلحين والمفكرين أقدم هذا الرأى والله الموفق وهو الهادى للصواب .

**سؤال فقهى : ما هو سن زواج الصغيرة؟**

قال مالك والشافعى وأبو حنيفة : حد ذلك أن تطيق الجماع، ويختلف ذلك باختلافهن، ولا يضبط بسن، وهذا هو الصحيح، وليس فى حديث عائشة تحديد، ولا المنع من ذلك فى سن إطاقته قبل تسع، ولا الإذن فيه لمن لم تطقه وقد بلغت تسعا[1] .

**خاتمة : علامات البلوغ :**

هناك علامتان لدخول الطفل سن البلوغ والتكليف، وهما الاحتلام، أو ظهور شعر العانة تحت السرة .

**١ ـ الاحتلام :**

فقد نصت الآية : ﴿ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ [النور : ٥٩] .

وروى أبو داود عن على ـ كرم الله وجهه ـ قال : حفظت عن رسول الله ﷺ :

« لا يتم بعد احتلام، ولا صمات يوم إلى الليل » .

**٢ ـ ظهور شعر العانة :**

عن عطية قال : «عرضنا على النبى ﷺ يوم قريظة، فكان من أنبتت عانته قتل، ومن لم ينبت خلى سبيله، فكنت ممن لم ينبت فخلى سبيلى» رواه الخمسة، وصححه الترمذى . وفى لفظ: «فمن كان محتلما أو أنبتت عانته قتل ومن لا ترك» رواه أحمد والنسائى[2] .

وعن سمرة بن جندب أن النبى ﷺ قال : «اقتلوا شيوخ المشركين، واستحيوا شرخهم» . والشرخ : الغلمان الذين لم ينبتوا . رواه الترمذى، وصححه .

**٣ ـ الصبى إذا بلغ خمس عشرة أقيمت عليه الحدود** . رواه البيهقى فى «الخلافيات» عن أنس .

---

(١) انظر : بذل المجهود فى حل أبى داود (١٠/ ١٤٥) طبع دار الكتب العلمية ـ بيروت .

(٢) ورواه الحاكم فى مستدركه(٤/ ٣٩٠) بلفظ : «كنت غلاما يوم حكم سعد بن معاذ فى بنى قريظة أن تقتل مقاتلتهم، وتسبى ذراريهم، فشكوا فى فلم يجدونى أنبت الشعر، فها أنا ذا بين أظهركم» .